

الكشاف

وقيل : كان الحوت سمكة مملوحة . وقيل : إن يوشع حمل الحوت والخبز في المكنل فنزلا ليلة على شاطئ عين تسمى عين الحياة ونام موسى فلما أصاب السمكة برد الماء وروحه عاشت . وروي . أنهما أكلا منها . وقيل : توضع يوشع من تلك العين فانتضج الماء على الحوت فعاش ووقع في الماء " سرى " أمسك اـ جرية الماء على الحوت فصار عليه مثل الطاق وحصل منه في مثل السرب معجزة لموسى أو للخضر " فلما جاوزا " الموعد وهو الصخرة لنسيان موسى تفقد أمر الحوت وما كان منه . ونسيان يوشع أن يذكر لموسى ما رأى من حياته ووقوعه في البحر . وقيل : سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة والغد إلى الظهر وألقى على موسى النصب والجوع حين جاوز الموعد ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك فتذكر الحوت وطلبه . وقوله : " من سفرنا هذا " إشارة إلى مسيرهما وراء الصخرة . فإن قلت : كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى لكونه أمارا لهما على الطلبة التي تناهضا من أجلها لكونه معجزتين ثنتين : وهما حياة السمكة المملوحة المأكول منها وقيل : ما كانت إلا شق سمكة وقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب منه ؟ ثم كيف استمر به النسيان حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة ليلة إلى ظهر الغد وحتى طلب موسى عليه السلام الحوت ؟ قلت : قد شغله الشيطان بوساوسه فذهب بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان وانضم إلى ذلك أنه ضري بمشاهدة أمثاله عند موسى عليه السلام من العجائب واستأنس بإخوانه فأعان الإلف على قلة الاهتمام " أرايت " بمعنى أخبرني . فإن قلت : ما وجه التثام هذا الكلام فإن كل واحد من " أرايت " و " إذ أويانا " و " فإنني نسيت الحوت " لا متعلق له ؟ قلت : لما طلب موسى عليه السلام الحوت ذكر يوشع ما رأى منه وما اعتراه من نسيانه إلى تلك الغاية فدهش وطفق يسأل موسى عليه السلام عن سبب ذلك كأنه قال : أرايت ما دهاني إذ أويانا إلى الصخرة ؟ فإنني نسيت الحوت فحذف ذلك . وقيل : هي الصخرة التي دون نهر الزيت . و " أن أذكره " بدل من الهاء في " أنسانيه " أي : وما أنساني ذكره إلا الشيطان . وفي قراءة عبد اـ : أن أذكره و " عجا " ثاني مفعولي اتخذ مثل " سرى " يعني : واتخذ سبيله سبيلا عجا وهو كونه شبيه السرب أو قال : عجا في آخر كلامه تعجا من حاله في رؤية تلك العجبة ونسيانه لها أو مما رأى من المعجزتين وقوله : " أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره " اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وقيل : إن " عجا " حكاية لتعجب موسى عليه السلام وليس بذاك " ذلك " إشارة إلى اتخاذه سبيلا أي : ذلك الذي كنا نطلب لأنه أمارا الطفر بالطلبة من لقاء الخضر عليه السلام قرئ : نبغ لغير ياء في الوصل وإثباتها أحسن وهي قراءة أبي عمرو . وأما الوقف فالأكثر فيه طرح الياء اتباعا لخط

المصحف " فارتدا " فرجعا في أدراجهما " قصصا " يقصان قصصا أي : يتبعان آثارهما اتباعا . أو فارتدا مقتصين " رحمة من عندنا " هي الوحي والنبوة " من لدنا " مما يختص بنا من العلم وهو الإخبار عن الغيوب .

" قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا " .

" رشدا " قرئ : بفتحتي وبضمه وسكون أي : علما ذا رشد أرشد به في ديني . فإن قلت : أما دلت حاجته إلى التعلم من آخر في عهده أنه كما قيل موسى بن ميثا لا موسى بن عمران لأن النبي يجب أن يكون أعلم أهل زمانه وإمامهم المرجوع إليه في أبواب الدين ؟ قلت : لا غضاة بالنبي في أخذ العلم من نبي مثله : وإنما يغض منه أن يأخذه ممن دونه . وعن سعيد ابن جبير أنه قال لابن عباس : إن نوحا ابن امرأة كعب يزعم أن الخضر ليس بصاحب موسى وأن موسى هو موسى بن ميثا فقال : كذب عدو الله .

" قال إنك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا " .

نفي استطاعة الصبر على وجه التأكيد كأنهما مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك بأنه يتولى أمورا هي في ظاهرها مناكير . والرجل الصالح فكيف إذا كان نبيا لا يتمالك أن يشمئز ويمتعص ويجزع إذا رأى ذلك ويأخذ في الإنكار . و " خبرا " تمييز أي : لم يحط به خبرك أو لأن لم تحط به بمعنى لم تخبره فنصبه نصب المصدر .

" قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا " .